

دراسة بعنوان

# العلاقات بين تركيا وحماس اعتبارات استراتيجية وتقارب أيديولوجي

ترجمة

مركز أطلس للدراسات الإسرائيلية



1435 هـ - 2014 م

## مدخل

التدهور الذي طرأ على العلاقات الاسرائيلية - التركية في العقد الأخير له أسباب كثيرة، ولكن يبدو أن ما يبين هذا التدهور أكثر من أي شيء هو العلاقات الجيدة التي نسجت بين الحكومة التركية بقيادة حزب "العدالة والتنمية" وبين حماس، على خلفية هذه العلاقات يمكن أن نفسر أيضاً واقعة سفينة "مرمرة" في مايو 2010 التي أدت منذ ذلك الحين إلى أزمة عميقة في العلاقات بين إسرائيل - تركيا، ومن هنا ومن زاوية الرؤية الاسرائيلية فهناك أهمية كبرى لفهم علاقة تركيا بحماس وفهم نقاط القوة ونقاط الضعف في تلك العلاقات.

بعد سقوط حكومة محمد مرسي في مصر في يوليو 2013، والقطيعة التي وقعت بين حماس وإيران على خلفية الحرب الأهلية في سوريا؛ قيل ان تركيا وقطر هما الممولتين الاساسيتين لحماس، وهناك جدل حول المبالغ الدقيقة، ولكن على ما يبدو فإن تركيا وعدت على الأقل أن تمنح حماس ما بين 250-300 مليون دولار سنوياً، وإلى ذلك فالوحدة بين فتح وحماس في إبريل 2014 ومحاولات حماس العودة إلى الإيرانيين أثبتت أن تركيا وقطر ليستا شريكتين قويتين بما يكفي من زاوية الرؤية الحمساوية، وأنهما وحدهما لا تستطيعان مساعدتها في مواجهة وضعها الصعب الحالي، بهدف تقدير مستوى العلاقات بين تركيا وحماس في المستقبل، سيدرس هذا المقال التطورات المتتابة في العلاقات بينهما في السنوات الأخيرة، وبعد ذلك سيحلل الدوافع المركزية لتركيا لتقوية العلاقة بالتنظيم.

## استعراض تاريخي

رغم حقيقة كون نجم الدين أربكان رئيس حزب الرفاه الإسلامي، الذي شغل في حينه منصب رئيس الحكومة في عامي 1996-1997 هو من دعا الى تقوية العلاقات مع حماس؛ إلا أن الرؤية لم تتحقق إلى حين صعود حزب "العدالة والتنمية" سدة الحكم في سنوات الألفين، ولغاية العام 2009 شغل أحمد داوود أوغلو منصب المستشار الأكبر لشؤون الخارجية لرئيس الحكومة، وفي العام 2009 عين في منصب وزير الخارجية، وطوال تلك المدة تضاعف التعاطف التركي لحماس، وبدءاً من الـ 2006 تعمقت العلاقات مع حماس بعد ان حصل التنظيم على 44% من الأصوات في الانتخابات الفلسطينية الشاملة (مقابل 41% حصلت عليها فتح)، النتيجة التي منحت حماس 74 مقعداً من أصل 132 مقعد للبرلمان الفلسطيني، وإثر هذه الانتخابات شكلت حكومة وحدة بين فتح وحماس.

في العام 2007، وفي ظل المصاعب التي علقَت فيها حكومة الوحدة، وبعد صراع عنيف؛ حققت حماس السيطرة على قطاع غزة، وعلى إثر ذلك وسعت تركيا علاقاتها مع حماس وشرعت بمحادثات مباشرة مع ممثليها، وقد مثل حماس في هذه اللقاءات بشكل أساس رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل، ولكن أيضاً رئيس حكومة حماس في غزة إسماعيل هنية، والذي وصل الى تركيا في العام 2012، حيث استقبله رتل من شخصيات المستوى السياسي الكبار في تركيا؛ رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان، ووزير الخارجية داوود أوغلو، اللذان استضافاه في معظم لقاءات هذه الزيارة.

المواضيع المركزية التي طرحت كانت المساعدة الاقتصادية التركية، والاعتراف بدولة فلسطين في الأمم المتحدة، وكذلك المساعدة التركية لحماس في جهودها للخروج من قوائم التنظيمات الإرهابية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وقد نتج عن تلك اللقاءات أن أرسلت تركيا مساعدة إلى غزة عبر الوكالة التركية للأعمال والتنسيق، وقد تضمنت هذه المساعدة بين ما تضمنت بناء مستشفى في غزة وعتاد لتنقية مياه الشرب.

بعد عملية "الرصاص المصبوب" في غزة أصبح الانتقاد التركي لإسرائيل شديد اللهجة - وخصوصاً ما جاء على لسان أردوغان - وفي الحادثة التي وقعت في القمة الاقتصادية العالمية في دافوس العام 2009؛ غادر أردوغان غاضباً منصة حوار مشترك مع الرئيس شمعون بيريس بعد أن صرح أن "غزة سجن كبير"، واتهم بيريس "عندما يدور الحديث عن القتل فأنتم تعرفون جيداً كيف تقتلون"، ولكن هناك جدل من نوع ما حول مدى التأييد والمساعدة التي يقدمها حزب "العدالة والتنمية" لصندوق الدعم الإنساني (IHH) في سفينة الحرية لغزة "مرمرة" في مايو 2010، وبعد هذه الحادثة اقتصر الحديث عن القضية الفلسطينية على غزة فقط في حديث الشارع التركي، في يوليو 2011 وأثناء الخطاب الذي خطبه أردوغان في البرلمان؛ أعلن أن شروطه الثلاثة لتطبيع العلاقات مع إسرائيل تشمل الاعتذار من قبل إسرائيل، والتعويضات، وفك الحصار عن غزة، ولكن أردوغان لم يفِي بوعده بأن يزور غزة في أعقاب واقعة "مرمرة"، غير أن وزير الخارجية داوود أوغلو ونجل أردوغان بلال زارا غزة في نوفمبر 2012 ضمن وفد وزراء الخارجية العرب في أعقاب عملية "عامود السحاب".

## الطموحات التركية الاستراتيجية والسبل الجديدة للوصول إليها

على العكس من سياستها في حقبة الحرب الباردة؛ حيث حاولت تركيا أن تنأى بنفسها عن دبلوماسية الشرق الأوسط فإنها تحاول في العهد الجديد أن تضاعف تأثيرها في الشرق الأوسط، هناك عدة أسباب لتغيير هذا السلوك، أولاً: لم تعد تركيا راضية عن وضع المراوحة في المكان وتفضل إنجاز تأثير أكبر في المنطقة، ثانياً: ميول العثمانيين

الجدد في حزب "العدالة والتنمية" تعكس رغبة تركية في التأسيس مجدداً لتأثيرها على المناطق التي كانت في الماضي جزءاً من الامبراطورية العثمانية، ثالثاً: اقتصاد تركيا المتنامي واحتياجات الطاقة الكبيرة للدولة يمكن ان تتلقى استجابة، ولو جزئية، بسبب توطيد العلاقات التجارية مع دول الشرق الأوسط، ففي نهاية الأمر محاولات تركيا للانضمام الى الاتحاد الأوروبي لم تتقدم بأي اتجاه، لذلك فإنها تبحث عن بدائل بهذا الشأن، وهكذا فإن معارضة اسرائيل بدت الطريقة الأسهل للشعبية الجماهيرية في العالم العربي، بالإضافة الى ذلك؛ فإن هذا جزء من الميل المتزايد لدى تركيا باستخدام القوة الكبيرة عن طريق مضاعفة تأثيرها على الساحة الدولية والاقليمية على ضوء الحقيقة بأن تركيا تولي أهمية كبيرة الآن للسياسة القائمة على المبادئ، ويمكن ملاحظة أن موقفها في مواجهة ما أسمته هي انتهاكاً للقانون.

الحرب من قبل إسرائيل - وخصوصاً فيما يخص الوضع في غزة - طريقة أخرى لتنصيب نفسها كدولة ذات قيم، يمكن رؤية الانتقادات الشديدة لإسرائيل أيضاً كطريقة لتسجيل موقف "مستقل" في الدبلوماسية الدولية، انضمت تركيا للناتو في العام 1952، ومن حينها كانت بالنسبة لغالبية أعضاء الحلف وفيه للتحالف وأهلاً له، ولكن كان هناك تخوف دائم من الجانب التركي؛ هل سيقف الحلف الى جانبها عند الحاجة؟

وبناءً على ذلك؛ فان تركيا معنية بتقليص ارتباطاتها بالغرب، سواءً كان ذلك من الناحية الاقتصادية أو من الناحية العسكرية، تحدي الغرب، وخصوصاً الولايات المتحدة، فيما يتعلق بسياساتها تجاه اسرائيل يمكن ضبطه كوسيلة لاستعراض هذه القوة المتنامية، وفي هذا أيضاً تحذير لحلفائها الحاليين "لا تتعاملوا معنا على أننا جهة اعتيادية" وفرصة تطوير شراكة جديدة أيضاً مع جهات أخرى تحاول مواجهة الغرب (روسيا - الصين - إيران)، بالإضافة إلى موقف تركيا من الصراع الاسرائيلي الفلسطيني التي لا تبدو بعيدة بالضرورة عن جزء من السياسة الأوروبية تجاه نفس الموضوع.

ويمكننا ملاحظة تأكيدها ان حماس هي جهة سياسية شرعية، وليس تنظيمياً اريبياً، والأسلوب الاستفزازي الذي اعتمدته في الفترة الأخيرة (سلوك أردوغان في دافوس، وأزمة السفينة "مرمرة") ما هي الا وسائل لاستعراض موقفها المستقل المتعاضم، واثبات انها لا ترتدع عن توجيه الانتقادات للولايات المتحدة في قضايا معينة.

من زاوية رؤية إقليمية؛ ربما يكون الأمر مبالغاً فيه عندما نزع ان تركيا تتعاون مع حماس كتحدٍ مباشر للتأثير الاقليمي الإيراني أو مصر، ولكن يمكن القول أن صراع نفوذ من نوع ما يتدخل في الأمر هنا، على سبيل المثال لو ان انتقاد تركيا لإسرائيل بشأن غزة كانت بصوت أكثر ارتفاعاً، ولكن حتى في عهد مبارك وبعد تنحية مرسي اسمع الأتراك بين الفينة والأخرى انتقاداً بشأن القيود التي تفرضها مصر على التنقل والدخول من وإلى غزة، وخصوصاً الاغلاق المتكرر لمعبر رفح، وحقيقة ان أردوغان لم ينجح بزيارة غزة في عهد مرسي هي شاهد إضافي ربما على

ما التوترات بين تركيا ومصر في قضية غزة، بالإضافة الى زعم تركيا ان بإمكانها تشجيع اعتدال من قبل حماس، إنما هو مجرد انتقاد تكتيكي لمحاولة إيران اجتذاب حماس.

## أسباب أيديولوجية

من ناحية أن حماس وحزب "العدالة والتنمية" معروفان بارتباطهما بحركة الاخوان المسلمين العالمية، يبدو أيضاً أن هناك علاقة أيديولوجية بينهما، ومن المهم التأكيد ان عدداً من الشخصيات الرائدة في حركة الاخوان المسلمين يبدوون تشككهم من أن حزب "العدالة والتنمية" هو عنصر جذب حقيقي للإخوان المسلمين، ذلك انه حزب لم يحدد آراء السلطة العلمانية، وفي الواقع فإنه حزب يفضل أن يقدم نفسه كحزب ديمقراطي محافظ وليس حزباً إسلامياً، ومع هذا فإن حزب "العدالة والتنمية" يبدي تعاطفاً كبيراً مع الأحزاب الإسلامية في دول أخرى أكثر مما فعلت جميع الحكومات السابقة في تركيا، وكذلك، وبعكس الاخوان المسلمين في مصر، فإن حماس لا تشكك بالبعد الإسلامي للحزب التركي، وفي الفترة الأخيرة اعتبرت حماس أن فوز حزب "العدالة والتنمية" في الانتخابات المحلية في تركيا كحافز مشجع لتوجه المقاومة بعد ان خسرت مصر بسقوط مرسي، ويبدو أيضاً أن حزب "العدالة والتنمية" معني بإقامة علاقات مع حماس أكثر من فتح، ذلك أنه يجد صعوبة في التعاطي مع التوجه العلماني لفتح.

وغير ذلك؛ من زاوية رؤية أردوغان فإن حقيقة انتصار حماس في الانتخابات البرلمانية الفلسطينية في العام 2006 وكونها لم تقبل كشرعية يشبه طريقة قبول فوز حزب "العدالة والتنمية" في الانتخابات البرلمانية التركية في العام 2002، حيث وجد هو صعوبة أيضاً في الاعتراف بشرعيته الكاملة في سنواته الأولى في الحكم.

في لقاء مع "الواشنطن بوست" في يناير 2009؛ شرح أردوغان هذا الموقف بقوله "حماس خاضت انتخابات بصفتها حزب سياسي، ولو أعطاهم العالم فرصة للتحويل الى لاعب سياسي لما كانوا على مثل هذا الوضع بعد الفوز في الانتخابات، العالم لم يحترم الارادة السياسية للشعب الفلسطيني"، لذلك أخذت تركيا على عاتقها مسئولية التوسط للقاءات بين ممثلي حماس وممثلي الدول الغربية بهدف محاولة إحداث تغيير في سياسة منع الاتصالات الرسمية مع حماس بسبب تورطها في أعمال إرهابية.

أضف إلى ذلك؛ في السنوات الأخيرة أكدت تركيا على البعد الحضاري، وكرست حقيقة أنها ترى في نفسها ممثلة للحضارة الإسلامية، ولهذا فإنها لا تلتزم الصمت تجاه أعمال العنف التي تنتهجها إسرائيل ضد المواطنين في غزة أثناء العمليات العسكرية من قبيل "الرصاص المصبوب" في العام 2008-2009 أو "عامود السحاب" في العام 2012، وعلى هذا الأساس أعلن أردوغان في خطاب له في جامعة القاهرة في الـ 2012 "تماماً مثل مكة والمدينة؛

فإن القاهرة والاسكندرية وبيروت ودمشق وديار بكر واسطنبول وانقرة؛ جميعهن أخوات، هكذا يجب ان يفهم العالم ويعرف ان رام الله ونابلس وأريحا ورفح وغزة والقدس هي مدن متآخية، وقاطنيها هم إخواننا، كل قطرة دم تسيل في هذه المدن هي من نفس الدم الذي يجري في عروقنا، وكل دمعة هي من دموعنا، يعرف الجميع انه عاجلاً أم آجلاً سيأتي الانتقام للأطفال الأبرياء الذين ذبحوا في غزة بصورة وحشية بشعة".

## الاعتبارات الداخلية ومجموعات الضغط

عندما تدرس الاعتبارات الداخلية التي تبين سبب إقامة حزب "العدالة والتنمية" علاقات حميمة بحماس يمكن رؤية السبب الرئيسي، وهو ان غالبية المصوتين للحزب يشعرون بالقرب من عدد من الجهات العربية - الاسلامية بسبب مواقفهم الدينية المحافظة، وبالنسبة للجمهور الواسع فهناك سبب مؤثر آخر، وهو أن دولة اسرائيل هي واحدة من المناطق الأخيرة للإمبراطورية العثمانية؛ لذلك فإن لها أهمية خاصة عندهم، يمكن ملاحظة التعاطف الكبير مع القضية الفلسطينية في جميع ألوان الطيف السياسي في تركيا، وفي الكثير من أوساط الأحزاب الغير دينية تقريباً "الأحزاب اليسارية"، وبهذا فإن تعاطف الجمهور في تركيا تجاه الفلسطينيين تلزم العناصر السياسية إلى تعقب ما يجري في الصراع الاسرائيلي الفلسطيني عن كثب والتعاطي مع تطوراتاه.

تفسير مهم آخر لذلك؛ وهو ان تركيا نسجت علاقات وثيقة مع حماس بسبب جهود الضغط التي تبذلها منظمات إسلامية غير حكومية في الدولة، ولا سيما (IHH) والذي يتمتع بتأثير كبير في السياسة التركية، هذا التنظيم الذي نشأ في العام 1992 على خلفية الحرب في البوسنة، وسجل رسمياً في تركيا سنة 1995 ويرسل اليوم مساعدات انسانية لأكثر من 120 دولة؛ هذا التنظيم غير الحكومي المقيم في تركيا ذو جذور أيديولوجية اسلامية قوية، وتزعم اسرائيل أن (IHH) هو جزء من شبكة تجنيد الأموال لحماس، وفي يوليو 2010 أغلقت هي أيضاً فرع التنظيم في فرانكفورت بسبب علاقته بحماس، وبسبب الأصول الأيديولوجية الدينية المشتركة بين حزب "العدالة والتنمية" ومنظمة (IHH) فإن الكثيرين من أعضاء التنظيم عينوا في الصفوف العليا للحزب.

على سبيل المثال زياد اصلان، والذي كان أحد المؤسسين للتنظيم انتخب مؤخراً ممثلاً لحزب "العدالة والتنمية" في البرلمان، وفي فترة تعيين اصلان كعضو في البرلمان اختير لمنصب رئيس تنظيم "الصدقة البرلمانية بين تركيا وفلسطين"، وكان واحداً من المنتقدين بشدة لإسرائيل، ورغم ان الحكومة منعت أعضاء البرلمان والعناصر الرسمية المنتمية الى الحزب الحاكم من ركوب السفينة "مرمرة" في مايو 2010 فإن ممثلين عن الحزب شاركوا في القافلة

الثالثة لتنظيم "فيفا فلسطينا"، والتي شارك فيها أيضاً تنظيم (IHH)، والتي حملت المعونات لغزة عبر مصر في ديسمبر 2009 ويناير 2010 دون ان يؤثر ذلك على العلاقات بين الحزب الحاكم والتنظيم.

يمكن التأكيد أن تنظيم (IHH) مقرب من الحزب الأكثر محافظة، وهو حزب "السعادة" والذي انبثق عن حزب "الأخلاق" بعد ان اخرج الأخير خارج القانون بناءً على قرار المحكمة القانونية التركية في العام 2001 ( الاعضاء الاصلاحيين في حزب الأخلاق هم الذين تجمعوا معاً وشكلوا حزب العدالة والتنمية)، كجزء من توترات كانت قائمة، وربما تقوم في المستقبل بين الحكومة برئاسة حزب "العدالة والتنمية" وبين تنظيم (IHH)، ويمكن الإشارة الى الضغط الذي مارسه أعضاء من الحكومة على عائلات قتلى السفينة "مرمرة" لتنازل عن المقاضاة المدنية للضباط الإسرائيليين الكبار، معركة قضائية يقودها تنظيم (IHH)، وهو ضغط لم يؤت ثماره بعد، والسؤال المطروح هو ما الذي سيحدث إذا قرر أردوغان التدخل في هذا الموضوع؟ وكيف سيؤثر مثل هذا التدخل على علاقة الحزب بالتنظيم؟، وأيضاً طُفت على السطح اتهامات بشأن التعاون بين رجال (IHH) مع تنظيم القاعدة (بما في ذلك اقتحام الشرطة لمكاتب التنظيم المحلية في كيليس يناير 2014).

في لقاء مع مجلة Anlay في 11 فبراير 2010 مع بولند يلدريم، رئيس حزب (IHH) تبين تأثير التنظيم على السياسة الخارجية لتركيا بذلك القول "على مدى وقت محدد أُديرت شؤون الخارجية التركية فقط على قاعدة اعتبارات عرقية، وصحيح انه في يومنا هذا فإن الإدارة متعددة الابعاد والجميع منفقون على ان لنا تأثير كبير بهذا الشأن، وواضح أيضاً ان للإدارة الحالية في تركيا في شؤون الخارج أثرت ايجابياً على عملنا، ذلك انه في كثير من الأمور نمتلك نفس الرؤية، وهناك قضايا كثيرة نعمل فيها معاً في الميدان، وكثير من المنظمات الرسمية وشبه الرسمية عليهم الانتباه للتوازن بين مختلف الجهات المنظمات غير الحكومية يمكنها التحرك بسرعة وإيجاز، فالمنظمات غير الحكومية ستكون أكثر فعالية، فبذلك تعمل الدول التي بداخلها مثل هذه التنظيمات، وتتقوى على الساحة الدولية".

## الاستنتاجات

على ضوء ان تركيا أيدت الانفصال الأحادي لإسرائيل عن غزة؛ يجب النظر في الحقيقة ان علاقاتها بحماس وصلت الى المستوى الحالي على خلفية التأثيرات السلبية والأخطاء التي ارتكبت أثناء عملية الانسحاب أيضاً، ذلك أن الانسحاب لم يكن منسقاً مع السلطة الفلسطينية؛ الأمر الذي قوى حماس، والعواقب الكثيرة التي فرضتها إسرائيل، على حركة الاشخاص والبضائع من والى غزة بعد سيطرة حماس عليها أثارت انتقادات في كل العالم على إسرائيل،

ولا سيما من الجانب التركي الذي بالغ في الأمر، وإسرائيل لم تفلح في إقناع تركيا أردوغان ان حماس هي تنظيم إرهابي، بل ان تركيا هي التي تبذل جهوداً كبيرة لإقناع القادة الغربيين ان حماس هي كيان سياسي شرعي.

حماس تعيش حالة ضعف، ولذلك من الواضح جداً ان التأييد التركي لا يمكنه ان يشكل تعويضاً عن سقوط نظام حكم مرسي في مصر، ولا يمكنها ان تكون بديلاً لإيران كشريك لحماس، وبهذا الخصوص فإن علاقات تركيا - حماس تشهد أيضاً على محدودية تأثير تركيا في الشرق الأوسط، هذه المحدودية تنبع من كون عدد من الدول العربية والاسلامية تحاول لجم محاولات تركيا لفرض تأثيرها بشكل أكبر أو لحقيقة كون تركيا ليست مستعدة "للذهاب حتى النهاية" في علاقتها مع حماس، ذلك ان الثمن الذي ستدفعه مستقبلاً في مواجهة الدول الغربية سيكون باهظاً جداً، وهكذا فإن الحديث التركي عن تعاضم دورها في السياسة الخارجية يقود تركيا في واقع الأمر الى سياسة متناقضة، فهناك شك في امكانية تواصلها على المدى البعيد، ومع ذلك فإن واقعة "مرمرة" وتأثيراتها ساهمت بشكل كبير في توطيد العلاقات مع حماس، وبهذا المنطق فإن من الصعب الطلب إلى تركيا والضغط عليها لتغيير الاتجاه بهذا الشأن.

الرد التركي على جهود حماس في بداية انطلاق الربيع العربي في العام 2014 لإقامة حكومة وحدة وطنية كانت إيجابية، وزير الخارجية التركي بارك الجانين على التوصل الى المصالحة الأخيرة، واقترح مساعدات إنسانية، وفي تصريح للصحافة الذي نشر باسمه قيل ان الانتخابات المرتقبة ستدعم "الشرعية الديمقراطية في فلسطين"، وكان المسؤولون الأتراك قد أكدوا في الماضي على أهمية اتفاق المصالحة، وحاولوا التوسط من أجل تحقيق هذا الهدف، وعلى الرغم من ان تركيا على ما يبدو لم تكن مشاركة بشكل فاعل في المفاوضات الحالية؛ فقد أكدت في السابق أمام حليفاتها في الغرب أنها ترى في نفسها انها تؤدي دوراً موازناً مع حماس، وأنها تحاول جر التنظيم الى الموافقة على حل الدولتين، وأعلنت تركيا أيضاً في الماضي ان اتفاق مصالحة من هذا النوع فإن على فتح ان تتخذ موقفاً أكثر صلابة في مواجهة إسرائيل، ولهذا فإن تركيا يمكنها الزعم ان لديها دوراً غير مباشر في عملية المصالحة الحالية بين فتح وحماس، وهي المصالحة التي تمت على خلفية انهيار المفاوضات بين السلطة وإسرائيل.

إذا فشلت محاولة المصالحة الحالية؛ فإن هناك تخوف بأن الوضع في غزة يستمر في تدهوره، لذلك ستبقى نقطة احتكاك مركزية قائمة بين تركيا وإسرائيل، لذلك يجب اضافة انهيار المفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل، والذي يمثل أيضاً مصدراً للقلق فيما يتعلق بعموم العلاقات التركية الإسرائيلية، بعد ان طرأ مؤخراً تحسن طفيف فيها، وبذلك يمكن القول ان الانقسام في الوسط الفلسطيني يضر ليس فقط بالقدرة على التوصل لسلام شامل معهم، بل بجزء من العلاقات الاسرائيلية الخارجية.